المحاضرة الثانية عشرة

الكتاب رقم ١٤

ومن وصية له عليه السلام لعسكره بصفين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَىٰ حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًىٰ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَىٰ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

معاني المفردات

١- الحجة: البرهان

٢- هزم العدو: كسر وفل، وأصل الهزم غمز الشيء اليابس حتى يتحطم

٣- المدبر: الهارب، الذي أعطى دبره للمعركة وهرب

٤- المعور: من العورة، قال ابن الأثير كل عيب وخلل في شيء فهو عورة والعورة سوأة الإنسان

٥- أجهز على الجريح: شد عليه وأسرع وأتم قتله

٦- الجريح: المجروح المصاب بجرح

٧- أهجت الشيء: أثرته وحركته

٨- الشتم: السب

٩- العِرض: بكسر العين، ما يفتخر الإنسان به من حسب وشرف، ما يصونه الإنسان

١٠- الفِهر: بالكسر، الحجر ملء الكف

١١-الهِراوة: بالكسر، العصا

١٢- يعير: يعاب ويذم

١٣- عقب الرجل: ولده وولد ولده ومن يأتي من ذريته

شرح النص

قيل يقول الإمام عليه السلام هذه الكلمات قبل لقاء كل عدو وقيل قالها قبل لقاء العدو بصفين يوصي بها عسكره إن حالفهم النصر ان يكونوا أهل أدب وأخلاق فهذه الوصية نور يهتدي بها المقاتل إلى ربه.

(لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ) حتى تكون الحجة لكم عليهم بأن تكونوا بذلك مدافعين لا مهاجمين.

(فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ) ومن هو كذلك لا يحتاج إلى الإسراع والسبق في المحاربة انما من يريد ذلك - البدء بالقتال - من ليس معه حق.

(وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ) حتى لا يقولوا هجموا علينا ودافعنا عن أنفسنا.

(فَإِذَا كَانَتِ الْـهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً) فإذا هزمتم الأعداء لا تقتلوا من أدبر وفر من الحرب.

(وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً) للمعور ٣ آراء:

١- من أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها.

٢- قال الشارح المعتزلي: المدبر هو من يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه.

٣- قال الشارح المعتزلي أيضاً: لعله هو المريب الذي يُظَن أنه من القوم وأنه حضر الحرب وليس منهم أو حضر لأمر آخر.

قال الشارح المعتزلي: وقد روي عنه ع انه قال: مَا نُصِرْتُ عَلَى الأَقْرَانِ الَّذِينَ قَتَلْتُهُمْ إِلَّا لِأَنِّي مَا ابْتَدَأْتُ بِالْمُبَارَزَةِ.

- ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده الحسن: لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَتِك، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ، وَالْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ.

(وَلا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ) الإجهاز على الجريح: إتمام أسباب موته، أي أن تكونوا سبباً في موته.

(لاَ تَهيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ) لا تؤذوا النساء وإن شتمن أعراضكم (العِرض: ما يحامي عنه الإنسان من نفسه وأهله) وسببن حكامكم، فهن ضعيفات فروح الرجل أكبر من روح المرأة إذا ضعف جسدها فإن ذلك يوجب ضعف نفسها والمرأة تميل للعاطفة أكثر من الرجل.

(إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ) قد كنا في زمن الرسول نؤمر بالكف عن أذى النساء وهن مشركات، أما الرجال في الجاهلية كانوا يتناولون المرأة بالفهر: وهو حجر بملء الكف والهراوة: العصا، فيُعير الرجل بهذه الفعلة ويلومه قومه، فأمرنا أن نكف عن المشركات فالمسلمات أولى بالعفو، المسلمات اللواتي انحرفن بسبب الفتن.